بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية العلوم الاجتماعية - التاريخ والحضارة
المحاضر: أحمد محمد أحمد هزازي
التخصص: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى وعصر النهضة والتاريخ الإسلامي.

العَطَاء المُنْسى للبيمَارَسْتَانات الإسْلامِية
"أهميتها، أنواعها، أقسامها، نفقاتها"
من القرن الأول الهجري إلى القرن التاسع الهجري

يأتي هذا البحث للتطرق على موضوع بالغ في الأهمية من وجهة نظر الباحث، لأن الموضوعات في هذا البحث قليلة وتكاد تحصر لقلتها أو لأن المصادر العلمية التي تتوفر لدى الباحث تكون قليلة مما تجعله يعزف عن البحث فيه أو قد يكون لتعدد موضوعاته المتعلقة به والتي قد لا يستشعر بها الباحث أو قد يكون لأسباب أخرى غير معروفة، وهذا الموضوع لا زال يحتاج الكثير من البحث والدراسات التي ستسهم في إثرائه من جميع جوانبه العلمية لما له من أهمية بالغة في إنشاء البيمارستانات وتطور مجالات علوم الطب وما صاحبها من علوم أخرى كالكيمياء والفيزياء والرياضيات والنباتات والحيوانات والجغرافيا والمناخ وغير ذلك. وقد كانت تسمى المستشفيات في الحضارة الإسلامية بـ(المارستان أو البيمارستان) وأصل الكلمة فارسي وهي مركبة من كلمتين، البيمار وتعني: المريض أو المصاب، وكلمة ستان تعني: الدار أو الغرفة وتسمى بدار المرضى أو مكان المرضى، وبقي هذا الاستعمال إلى نهاية الدولة العباسية، ثم بعد ذلك تعددت المسميات لها فمنها: دار المرضى، غرفة المرضى، دار العجزى، كما وتم إيجاد مسمى آخر يطلق عليها خلال فترة الإمبراطورية العثمانية وهو (دار الشفاء)، وعند انحدار الحضارة الإسلامية وتقاعسها أهمل الكثير منها، حتى أصبحت مهجورة وتأوي إليها المصابين بالجنون وغيرهم.

الملخص:

يدرس هذا البحث أهم إنجازات الحضـارة الإسـلامية للعالم اليوم وما قدمته له من تطور في مجالات علم الطب، ومنها البيمارستانات "المستشفيات" والتي ساهمت في عجلة التطور الطبي لجميع مجالاته العلمية والعملية، ففي عهدها أنشأ العديد من البيمارستانات في جميع أنحاء العالم الإسلامي وبالتحديد في جميع المدن الرئيسية والقاطبة للكثافة السكانية بل حتى للقرى والمدن الصـغرى، ويدرس هذا البحث بعض أهم الإسـهامات لها، ومنها: أنواعها، وأقسامها، وأهميتها، ونفقاتها، وبذلك يزود المدرسة التاريخية بقراءات وطرح جديد يسهم في إثراء الباحثين والمختصين والقراء في أهم إسهامات للحضارة الإسلامية، والتي أنشأت وانتشرت بكثرة في أحضان الدول الإسلامية حتى امتدت في شبه جزيرة العرب وبلاد الشام وشـرق آسـيا وشمال أفريقيا وجنوب أوروبا بصـقلية والأندلس وغيرهم، وقد تنوعت تلك البيمارستانات بين المتنقلة والثابتة، وبلغت أقسامها درجة من التخصصية والدقة، وأصبح منها تلك المتخصصـة في طب الجراحة، أو العيون "الكحالة" أو الجذام أو الجنون وهكذا، حتى لم تكن توجد مدينة ولا قرية إلا وبها بيمارستانًا، والتي لا يوجد بها بيمارستانًا يوجد بها طبيبًا ماهرًا وعارفًا بعلم التطبيب، وأخذت الحضارة الإسلامية منذ نشأتها بالاهتمام بترجمة الكتب العلمية ومنها كتب الطب، فيذكر في كتب التاريخ بأن من بداية عصـر الدولتين الأموية والعباسـية بلغت الترجمة ذروتها، وأما بالدولة العباسـية فكان المؤلف يوزن له كتابه ويعطى مقابله ذهبًا بقدر ما ألفه، وهذا نوع من أنواع التشجيع للعلماء والأساتذة والمترجمين وغيرهم، فانعكس ذلك على التأليف حتى بلغت مبلغًا عظيمًا، وكانت مؤلفات الأطباء المسـلمين تدرس في الدول الأوروبية إلى القرن الثامن عشـر وأوائل القرن التاسـع عشـر الميلادي، ومازال للأطباء المسـلمين إجلالٌ واحترامٌ وحضـور بارز في بعض الدول الأوروبية التي خلدت لهم صـورًا وتماثيل ومؤلفات لهم سـواءً من ترجمة لمؤلفاتهم الثمينة، ومن تلك الدول؛ فرنسا وإسبانيا وإيطاليا وغيرهم، وكان لذلك الاهتمام بالبيمارسـتانات نبوغ من المصلحة الخاصة والعامة، فالخاصة الاهتمام بالإنسان والعامة حفظ الصحة على الجميع.

Abstract (In Italiano)

Questa ricerca studia i risultati più importanti della civiltà islamica per il mondo di oggi e lo sviluppo che ha fornito nei campi della medicina, compresi gli "ospedali" che hanno contribuito alla ruota dello sviluppo medico in tutti i suoi campi scientifici e pratici. alcuni dei contributi più importanti ad esso, tra cui: le sue tipologie, divisioni, importanza e spesa, fornendo così alla scuola storica letture e una nuova proposta che contribuisce ad arricchire ricercatori, specialisti e lettori nei contributi più importanti alla civiltà islamica, che si è stabilito e si è diffuso eccessivamente nelle braccia dei paesi islamici fino a diffondersi nella penisola arabica, nel Levante, nell'Asia orientale, nell'Africa settentrionale, nell'Europa meridionale, in Sicilia, in Andalusia e altri. non c'era città o villaggio senza un bimaristan in cui non esistesse bimaristan in cui ci fosse un medico esperto e ben informato. Con la conoscenza della medicina.

Fin dal suo inizio, la civiltà islamica si è interessata alla traduzione di libri scientifici, compresi i libri di medicina. Nei libri di storia è menzionato che dall'inizio dell'era degli stati omayyadi e abbaside, la traduzione ha raggiunto il suo apice. Per quanto riguarda lo stato abbaside, l'autore era

solito pesare il suo libro e dargli oro in cambio di ciò che scriveva, e questo è una sorta di incoraggiamento per studiosi e professori, traduttori e altri, e questo si è riflesso nella paternità fino a raggiungere una grande quantità, e il libri di medici musulmani sono stati studiati nei paesi europei fino al XVIII e all'inizio del XIX secolo d.C., e i medici musulmani hanno ancora grande rispetto e presenza in alcuni paesi europei che li hanno immortalati con immagini, statue e scritti per loro, sia da una traduzione del loro prezioso libri, e da quei paesi; Francia, Spagna, Italia e altri, e questo interesse per i bimaristan era un fulgore dell'interesse pubblico e privato.

Abstract (**In English**)

This research studies the most important achievements of Islamic civilization for the world today and the development it has provided in the fields of medicine, including the "hospitals" that have contributed to the wheel of medical development in all its scientific and practical fields. some of the most important contributions to it, including: its types, divisions, importance and expenditure, thus providing the historical school with readings and a new proposal that contributes to enrich researchers, specialists and readers in the most important

contributions to Islamic civilization, which it is established and has spread excessively in the arms of Islamic countries until it spread to the Arabian Peninsula, the Levant, East Asia, North Africa, Southern Europe, Sicily, Andalusia and others. there was no city or village without a bimaristan in which there was no bimaristan in which there was an experienced and well-informed doctor. With the knowledge of medicine.

Since its inception, Islamic civilization has been interested in the translation of scientific books, including medical books. In the history books it is mentioned that since the beginning of the era of the Umayyad and Abbasid states, the translation reached its peak. As for the Abbasid state, the author used to weigh his book and give it gold in exchange for what he wrote, and this is a kind of encouragement for scholars and professors, translators and others, and this has been reflected in the authorship until to reach a large quantity, and Muslim medical books were studied in European countries until the 18th and early 19th centuries AD, and Muslim doctors still have great respect and presence in some European countries who have immortalized them with images, statues and writings for them, both from a translation of their precious books,

and from those countries; France, Spain, Italy and others, and this interest in the bimaristan was a radiance of public and private interest.

المقدمة:

فمنذ بداية خلق الإنسان، والإنسان يعيش حياة مليئة بالتحديات، ومن تلك التحديات، الأمراض التي دائمًا ما تصيبه بصفة مستمرة، فبدء الإنسان شيئًا فشيئًا إلى تطوير سبل وطرق لمواجهة تلك الأمراض الخطيرة والتي تودي بحياة الإنسان. وقد احتاج ذلك الإنسان إلى وقت طويل وعصور مختلفة تكللها البحث، والدراسة، والتجربة العملية لتلك الطرق التي تساعده لمعالجة تلك الأمراض. وبعد ازدياد الكثافة السكانية والتوسع العمراني للإنسان، ازدادت المطالب له بأن يُحَدِث تلك الطرق البحثية، والدراسية، والعلاجية لتلك الأمراض الخطيرة، وبدأت بالظهور شيئًا فشيئًا البيمارستانات بأنواعها المختلفة وأهدافها المتعددة، ومن هنا بدأت الانطلاقة بإحداث ثورة علمية في مجال الطب، بل وتم إدراج علوم أخرى لها علاقة وطيدة بعلم الطب، كعلوم النباتات والحيوانات وغيرها، والتي كانت تقوم عليها هذه المهنة العظيمة.

وتعد البيمارستانات، أحد أبرز الأماكن التي ترعى وتعتني بالمرضى بمختلف أعمارهم وأجناسهم وثقافاتهم وألوانهم، وهي كذلك تعتبر من العوامل المساعدة والمعول عليها في شفاء المرضى بعد الإرادة الإلهية، وهي كذلك تعتبر بمثابة المنزل الثاني للمريض لأنه يجد فيها الاطمئنان والراحة، ويعتبر المرضى الآخرين فيها للمريض بمثابة الأهل والأبناء والأصدقاء له، فالطبيب بعد تقديم الدرس لطلابه يصحبهم بعدها إلى التطبيق على المرضى والمشاهدة والمراقبة، فبهذا الأسلوب تتكرس الدروس في عقول الطلاب، وقد ذكر ابن جبير في كتابة الرحلة؛ بأن الأطباء يتفقدون المرضى في كل يومي الاثنين والخميس للاطمئنان على أخذهم الأدوية والأغذية المطبوخة وغيرها، كما وتعكس البيمارستانات مستوى ارتقاء الحضارة الإسلامية التي وصلت إليها، فهي كذلك تعكس الجوانب الحضارية؛ ومنها: الجوانب

الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية، والعلمية، وهي بذلك تزود الباحث بفوائدها العظيمة في تقديم الرعاية الطبية والحفاظ على صحة الإنسان.

الأهمية:

فمنذ عصر الحضارة الإسلامية بدء المسلمون بالاهتمام ببناء المباني من مساجد وقلاع وحصون وبيوت ودكاكين وبيمارستانات وآبار وغيرها، وكانت تبنى بمواد أولية بسيطة، حتى تطور لديهم مفهوم العمران بشكل كبير بعد سنوات من تراكم الخبرات لديهم، فأخذوا بعد ذلك بتشييدها من مواد أكثر قوة وصلابة من ذي قبل، حتى ظهر في عصر الدولة الأموية في الشـــام والاندلس والعباســـية والمملوكية والأيوبية والعثمانية نوع جديد في مفهوم البناء، وأصـبحوا يبنون بتقنيات وأدوات دقيقة ومخصـصـة، ولهذا ظهرت الأبنية الضـخمة والكبيرة التي تبهر الناظر، وكان للبيمارسْتانات الحظ الوفير منها، وذلك لاهتمام تلك الدول بصحة الإنسان وبعلم الطب الذي هو بمثابة الركيزة لذلك الإنسان.

واهتمت الحضـــارة الإســـلامية بجميع العلوم والفنون بشـــكل عام، ومنها تلك المجالات الطبية المصـــاحبة لها واعتنت بها عناية بالغة، وقامت بتطوير تلك البيمارســـتانات بأنواعها المختلفة والتي تعتني بالمرضـــــى من جهة ومن جهة أخرى تقدم العلاج اللازم لهم. ومما لا شك فيه هو ذلك الأثر الملموس في تلك البيمارستانات من الناحية الطبية والرعاية والعلاج والعلمية التي قدمته الحضـارة الإسـلامية للعالم أجمع وكان لهم السـبق الأول في ذلك، والذي لا يزال قائمًا إلى يومنا هذا. وكان مما اســتدعى ذلك الاهتمام حث الشــريعة الإســلامية بالتداوي والرفق بالآخرين والبحث عن العِلَل وعلاجها، فذكرت آيات قرآنية بذلك ومنها: {وننزل من القرآن ما هو شــفاءٌ ورحمة للمؤمنين (٨٢)} ســورة الإســراء، وأحاديث نبوية أيضًــا ومنها: قول النبي صــلى الله عليه وســلم: (العلمُ عِلْمَان عِلمٌ الأبدان وعِلْمُ الأدْيَان)، وكان الجميع يرقى ويتداوى بها ويطبقها لما لها من أثر صـــحي ظاهر، وشـــيئًا فشـــيئًا بدء المسلمون في تطبيق ما جاء في الشريعة الإسلامية حتى اكتشفوا أمراض كثيرة وأدوية عديدة

ومتنوعة لها، وهذا قد ساهم بشكل كبير وملموس في تطور علم الطب ومنه البيمارستانات، والتي كانت قد كثرت في بداية الحضارة الإسلامية، وكانت متواجدة في كل عاصمة ومدينة كانت تحت حكم المسلمين، كمثل: مكة، والري، وبغداد، وحلب، ودمشق، والقاهرة، وتونس، وصقلية، والأندلس، وغرناطة، وفلسطين، وسمرقند، وبورسه، واسطنبول، وغيرهم، وكانت كذلك تستخدم الجوامع لتدريس العلوم ومنها علم الطب، كما ويمكن للخليفة أن ينشأ أكثر من بيمارستان في مدن مختلفة وفي أمصار مختلفة كمثل السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي أنشأ عدت بيمارستانات في مدينة بلدة القدس القديمة، وعكا، والإسكندرية، بل حتى يمكن أن يقاس بكثرتها ما أحيطت بالمسجد الأموي وبلغ عددها ثلاثة بيمارستانات، ولا تزال بعض البيمارستانات آثارها قائمة إلى اليوم، وما كانت تتمتع به مدينة قرطبة بتواجد ما يفوق على ٥٠ بيمارستان، ويذكر بأن عددها قد فاق الأربعمائة بيمارستان في جميع الأمصار الإسلامية، وفي غالب الأمر بأنها تعتبر من النوع الثاني للبيمارستانات الثابتة ناهيك عن المتنقلة. ومن تلك الأهمية كذلك كثرت المدن الرئيسية ذات المراكز التجارية والثقافية والعلمية والدينية والتي يقع منها على طرق السفر وغير ذلك، وأسهمت الفتوحات الإسلامية في ازدياد وتطوير البيمارستانات، وكذلك الحروب المتتالية والتي يصاب البعض فيها بالجروح والأمراض والكسور، فبعض المصابين يلزمه طبيبه بأن يبقى بالبيمارستانات مدة طويلة ليشفى من إصابته أو مرضه، ومن تلك الأهمية دخول البلدان الجديدة في الإسلام، وتلك البلدان تكن بأمس الحاجة إلى الرعاية الطبية من إنشاء للبيمارستانات لعلاج مرضاها، وبالإضافة إلى اتساع رقعت الدولة الإسلامية من حيث المساحة الشاسعة، وانعكس عليها ازدياد الكثافة السكانية، مما يلزمها بإنشاء البيمارستانات الكبيرة والمتخصصة.

ولاشك بأن أول مساعد لإنشاء البيمارستانات هو ذلك الألم الذي يشعر به الإنسان والذي قد يُعِقه من أن يقوم بواجباته، فمنذ بدء الخلق بدء ذلك الاهتمام بما يصيب الإنسان من ضرر، وفي الحضارة الإسلامية أصبح الاهتمام أكبر بكثير من ذي قبل، لأنها

تحث على الصحة والعلاج والحمية والرياضة، وقد استوعبت الحضارة الإسلامية الأهمية بعلم الطب وبكل علم له صلة به، فكانت من تلك الأهمية بناء البيمارستانات والتي هي الجوهر الرئيسي لعلم الطب، فمنها يبدء المريض بالكشف عن آلامه ومعرفة مسبباتها، ومنها يبدء الأطباء بالتعليم والتدريب للتلاميذ، ومنها يبدء المريض بتلقي العلاج، ومنها يرسل الدواء إلى بلدان أخرى، ومنها يبدء بصنع الدواء، ومنها تضع المرأة بمولودها، ولها الكثير والكثير من الفوائد. فعندما يكون الإنسان سليمًا صحيحًا في بدنه، يمكنه من قضاء حجاته بنفسه بعيدًا عن الاتكال على غيره، حتمًا سيشعر بسعادة لا يمكن له أن يصفها، ولهذا كانت لتلك الدول الأهمية العظمى بصحة الإنسان.

أنواع البيمارستانات:

فمنذ فجر الإسلام بدأت البيمارستانات بالظهور بشكل بسيط ومتواضع ويسمى هذا النوع بالبيمارستانات المتنقلة، وعندما أصبح للإسلام دولة ذو كيان قوي وقدرة عالية أخذت في بناء الحضارة الإسلامية بدأت تظهر بشكل ملحوظ وملموس تلك البيمارستانات في أبنية ضخمة وتسمى بالبيمارستانات الثابتة، وكانت في بداياتها بسيطة في شلكها وأدواتها وأقسامها، وعندما كبرت وقوية الحضارة الإسلامية أصبحت تلك البيمارستانات تأخذت أنواعًا وأشكالاً عديدة ومختلفة.

وللبيمارستانات نوعان رئيسيان ومازالا يستخدمان بهما حتى اليوم، فالنوع الأول البيمارستانات المتنقلة وتتمثل في سيارات الإسعاف أو طائرات الإسعاف أو المستشفيات الميدانية حاليًا، وبمعنى أدق تستخدم للتدخل السريع للمصابين والمرضى، والنوع الثاني البيمارستانات الثابتة كمثل المستشفيات حاليًا. وكان للبيمارستانات المتنقلة طبيبات ومسعفات، والمرأة المصابة تطببها طبيبة أو مسعفة، ويطلق عليهن بالمجاهدات، لأنهن بذلك يجاهدن، وكذلك يصاحبها أطباء ومسعفين، والرجل المصاب يطببه طبيب أو مسعف، وأما البيمارستانات الثابتة فأصبح هنالك قسمان منها؛ قسم للرجال وقسم للنساء وهما متشابهان

تقريبًا في جميع الأقسام أو قد يكتفى بقسم مشترك إن كان هنالك ضرورة لذلك أو غير ذلك.

فأما البيمارستانات المتنقلة؛ فاستخداماتها واحدة في كل حالة كانت، وقد تختلف أهداف استخداماتها، ولكنها تأدي نفس المهمة، فيستخدم الجيش البيمارستانات ويجعلها تصاحبه في المعارك التي يخوضها ليتلقى منها الرعاية والعلاج للجنود، وكذلك تكون مصاحبة الملك أو الخليفة أو السلطان أو الحاكم أو الأمير أو القائد الأول في الجيش في بعض تنقلاتهم في السفر، أو في التنزه، أو في الصيد، وفي حال أصيب أي شخص منهم فإن في البيمارستان المتنقل المتطبب لمداواته، وتكون كذلك البيمارستانات مصاحبة للقوافل التجارية الصغيرة والكبيرة منها، وأيضًا تكون في القرى الصغيرة، وتكون لنقل الأدوية والعقاقير من مدينة إلى أخرى لمثل حالات الحروب أو انتشار الأوبئة والطواعين.

والبيمارستانات المتنقلة هي أشبه ما تكون بالخيام تحمل فوق ظهور الدواب وتركب وتضرب على الأرض، وهي مكونة من قماش وخشب وحبال ومسامير حديدية تُغْرَز في الأرض لتثبيتها، ويطلق عليها كذلك بالبيمارستانات المحمولة لأنها تحمل على ظهور الدواب، وقد كان يحمل البيمارستان المتنقل لجيش السلطان محمود السلجوقي ٤٠ جملا. وعلى أي حال فإن استخدام مصطلحان البيمارستانات المتنقلة أو المحمولة كلاهما صحيح، لأنها تعني بالبيمارستانات التي تحمل وتتنقل مع الدواب بحسب وجهات هذه القوافل وبأوامر الحاكم لها أو من له سلطة أعلى. ويوجد البعض من المؤرخين ممن يسميها بالبيمارستانات الحربية المتنقلة ويخصصها بها، ويقصد بها المتخصصة فقط للحروب وهذا ليس بدقيق ولا بصحيح، لأنه في حال أطلق عليها البيمارستانات الحربية المتنقلة، فبهذا المسمى أصبحت قد حددت وصنفت فقط للحروب وهو بذلك خطأ كبير، لأنها تتعدد مهامها بحسب أغراض الحاكم أو من له سلطة أعلى، والصواب هو الإطلاق عليها بالبيمارستانات المتنقلة أو المحمولة لما تم ذكره آنفًا، وهذه البيمارستانات المتنقلة قد نشأت

واشتهرت في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بل قيل بأنها أول ما أنشأت في ميادين الحروب، وعندما أصيب سعد بن معاذ رضي الله عنه بعينة في غزوة الخندق أمر النبي عليه الصلاة والسلام بأن توضع خيمة في المسجد النبوي لأم رفيدة لكي تطببه من إصابته، لإجادتها التطبيب والتجبير والتضميد، ومنها اتسعت فكرة البيمارستانات المتنقلة حتى أصبحت أكبر حجمًا وأكثر تنوعًا في الأقسام الطبية بها، حتى ظهر لنا نوع جديد لم يشهده العالم القديم قط وهو البيمارستانات الثابتة. وقد كان قبيل ظهور البيمارستانات الإسلامية في العالم القديم تواجدٌ للعرافين والكهان والمنجمين والمشعوذين الذين يخدعون الناس بأقوال كاذبة وأفعال خاطئة وفادحة، فَيَدَّعُون العِلْم بالأمراض وأدويتها ويقومون ببتر اليد أو القدم ضنًا منهم أنهم سيشفون المرضى من أمراضهم، وهذه المَمارسات الشيطانية "السحر – الشعوذة – العرافة – التنجيم – القدح – وغيرها" كانت تمارس في حضارات مختلفة من العالم القديم ولا تزال إلى يومنا هذا تمارس في بعَضًا من المدن الريفية بأدغال إندونيسيا وأدغال أمريكا اللاتينية وقرى أفريقيا وغير ذلك، وقد كانت تمارس كذلك عند العرب، ومصاحبًا للممارسة العرب ممارسة الطب حيث يطلقون على الطبيب بالحكيم، ويوجد الصالح منهم والطالح، ولكن بظهور الإسلام أبطل التعامل بمن يشتغل بالممارسات الشيطانية ومنعهم وتصديقهم لما يقولون، وحرم أفعالهم، وأحل التداوي والشفاء بالقرآن وبكل ما هو حلال وغير ضار بالإنسان. وقد كان كذلك يوجد قبيل ظهور البيمارستانات الإسلامية في العالم القديم تواجدٌ لبعضًا من المدارس الطبية والتي كانت منتشرة بصورة قليلة في بلاد فارس ومصر والإغريق، ومنها: مدرسة جندياسابور بفارس، ومدرسة الإسكندرية بمصر، وهاتين المدرستين قد ذكرتا في المصادر القديمة، وقد توصلت الدراسات الحديثة إلى وجود آثار لهما ولوجود البرديات الطبية المكتشفة حديثًا في مصر تعود لعصر الفراعنة، وعندما افتتحت هذه البلدان بدء المسلمون ينهلون من علومها ويقومون بترجمتها وفهمها ووعيها، حتى استطاعوا أن يؤسسوا ويكتشفوا ويصححوا ويضيفوا للعلم الطبي الشيء الكثير.

وأما البيمارســتانات الثابتة؛ فتبنى في المدن الكبيرة والتي تكتظ بالســكان، وتبنى على أرض مناسـبة وكبيرة بحسـب أقسـامها، ويتمتع المبنى بالقوة والصـلابة والجمال وتوفر المياه العذبة والجارية والنباتات وأماكن الاسـتجمام، وهو أشـبه اليوم بالمسـتشـفيات الحديثة في القرن الواحد والعشرون، بل وتمتاز البيمارستانات الإسلامية من حيث تعدد الأقسام الطبية وتخصصاتها، وجودة البناء لبعض البيمارستانات والتي مازالت قائمًا إلى وقتنا الحالي والتي قد حظيت على ترميم لمبانيها، وبالإضـافة إلى الجمال التصـميمي لمبانيها، وتوافر المسـطحات الخضـراء، والمياه الجارية العذبة، ويتعدى ذلك في النفقات التي كانت تصـرف للمرضـى بها، وتوفير الملابس لهم، بل أن جميع الخدمات التي تقدم لهم فيها مقدمة بدون مقابل مالي.

وهنالك البعض من المؤرخين وهم قلة ممن يقسـمون البيمارسـتانات إلى نوعين مختلفين عمـا ذكرنا، فيـذكرون البيمـارســتـانات العـامـة وهي التي تقوم بعلاج جميع المرضـــى، والبيمارستانات الخاصة تكون للمرضى ذو الأمراض المستعصية والمعدية، وهذه التقسيمات قد تدخل معها بعض الأقســام الطبية، وللعلم فإن الأنواع الأولى والتي ذكرت في بحثنا هذا، والمتمثلة بالنوعين التاليين وهما البيمارستانات المتنقلة والثابتة هي الأكثر ذكرًا وعرضًـا لدى المؤرخين، وعلى أي حال لا يوجد مشكلة كبيرة سواءً في حال تم استخدام كلاً من التقسيم الأول أو الثاني، والتي تؤدي في نهاية المطاف إلى التعريف بمجالات العلوم الطبية وأقســامها داخل وخارج البيمارستانات.

أقسام البيمارستانات:

فبالنســبة للبيمارســتانات المتنقلة فأقســامها تكمن في المتطببين والمتطببات والذين يرافقونها ويعملون بها، وتكون على حسب مهنتهم وخبراتهم، فهنالك الجراح/ــة، والمجبر/ ة، والمضــمد/ ة، وكان يمكن لمن يجيد الجراحة أن يقوم بجميع المهام معًا، وبالإضـــافة بوجود الصـيدلية الصـغيرة المتمثلة في حقيبة أو صـندوق شـخبي يحتون على أهم الأدوات والأدوية المستخدمة في العلاج. وأما بالنسبة للبيمارستانات الثابتة فهي تتميز بتنوع المجالات الطبية

وبتعدد الأقسام وكبرها، ويوجد بيمارستانات خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء أو يكون في نفس البيمارستان القسمان معًا ولكنهما منفصلان، كما ذكر في كتاب الرحلة لابن جبير؛ بأنه يوجد "مقتطع للنساء المرضى ولهن من يعتني بهن"، ويعود الفضل الأكبر في تخصيص مجالات طبية ووضع الأقسام الطبية هم المسلمون. وإضافة إلى ذلك إنشائهم للبيمارستانات التي تعتني بالمرضى من ذوي الاحتياجات الطبية الخاصة، ومنهم النفسيين والمجذومين والأمراض المعدية وكملاجئ للفقراء. ومن تلك الأقسام الطبية التي تتواجد بالبيمارستانات الثابتة؛ قسم الجراحة، وقسم الأمراض الباطنية، وقسم العيون، وقسم النساء والولادة، وقسم أمراض الأطفال، وقسم الشرابخاناه وهو "قسم الصيدلية"، وقسم الأمراض المعدية، وقسم الأمراض النفسية والعقلية، ويُرفق بها في الغالب قاعة دراسية لتدريس التلاميذ، وتأليف المؤلفات، وفي البحث والاستكشافات الطبية، وقد زودت البيمارستانات الثابتة بالمكتبات الكبيرة والصغيرة، وبالقاعات، وأصبحت تُدَرِس التلاميذ بإلقاء المحاضرات النظرية والتطبيقية معًا، وتُقِمْ لهم اختبارات اجتياز للحصول على رخصة تجيز الطبيب المتخرج حديثًا من مزاولة مهنة الطب، وبالإضافة إلى الصيدليات الممتلئة بالأدوية والعقاقير، وبها جامع كبير يصلي فيه الأطباء والموظفين والمرضى وكل من يسمع الأذان، ووجود الجامع يمد المريض بأنواع كثيرة من العلاج ولما حثت به الشريعة الإسلامية بأن يتداوى بالقرآن والدعاء، وبوجوده يحظى من يستطيع من المرضى بالصلاة فيه، وقبل كل شيء فإن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، ولهذا فإن الجامع رمز مهم للحضارة الإسلامية، ويوجد أيضًا بالبيمارستانات أقسام أخرى خاصة كقسم الطعام، وقسم الملابس، وقسم السجاد، وقسم النظافة، وقسم الإضاءة، وقسم الإدارة المالية، وقسم السجلات، وقسم الصيانة العامة، وقسم الموظفين والقائمين عليها، وبه حمامات للرجال والنساء، وكانت إدارتها في الغالب تكون تحت أفضل طبيب بارع ومحترف ومتخصص بجميع علوم الطب. فمن هنا يمكن القول بأن البيمارستانات الإسلامية كانت تخضع إلى إدارة منظمة ذو كفاءة عالية، وأنها تتمتع تحتوي على بأقسام علمية متخصصة ودقيقة، ومما تعكسه لنا تلك الإدارة

المنظمة ارتقاء مستوى الحضارة الإسلامية وما وصلت إليه من علم متميز وفريد حتى بدى للشعوب المحيطة بها الهجرة والسفر إليها طلبًا لتحصيل العلم والمعرفة من خلال التعلم على أيدي العلماء المسلمين.

ووصلت هذه البيمارستانات لمرحلة متطورة في الرعاية وتقديم العلاج، وقد تعددت وتنوعت وكثرت في جميع عواصم وبلدان ومناطق الدولة الإسلامية. وما تميزت به هو ظهور كلا النوعين للبيمارستانات في بلاد الحجاز ومصر وبلاد الشام وأفريقيا وكل حواضر المسلمين.

ومن أشهر تلك البيمارستانات في الحضارة الإسلامية:

بيمارستان الخليفة الوليد بن عبد الملك، أنشأ في عام ٨٦هـ / ٧٠٥م، في دمشق. وهو أول بيمارستان ثابت قد أنشأ في الإسلام، فكانت للمجذومين ثم بعد ذلك تطورت، وقد أغدق الخليفة عبد الملك بالمال على المصابين وعلى الأطباء والموظفين وعلى كامل إدارتها وجهزها بصالة الطعام وبقسم الملابس، وكان أول من أنشأ البيمارستان الثابت بمصر "الفسطاط" هو الأمير أحمد بن طولون، كما قال القلقشندي، وابن خلكان، والمقريزي.

البيمارستان الصلاحي في القاهرة.



البيمارستان الصلاحي أو الناصري: أمر بإنشائه الملك صلاح الدين الأيوبي، أنشأ في سنة ٥٦٧هـــ/١١٧١م في القاهرة، وقد أنشـأ كذلك بيمارسـتان آخر في القدس بالقرب من كنيسة القيامة في حي الدباغة.

البيمارستان الصلاحي في القدس، وبني على أنقاضه كنيسة الفادي اللوثرية.



البيمارستان الصلاحي في القدس بالقرب من كنيسة القيامة في حي الدباغة.

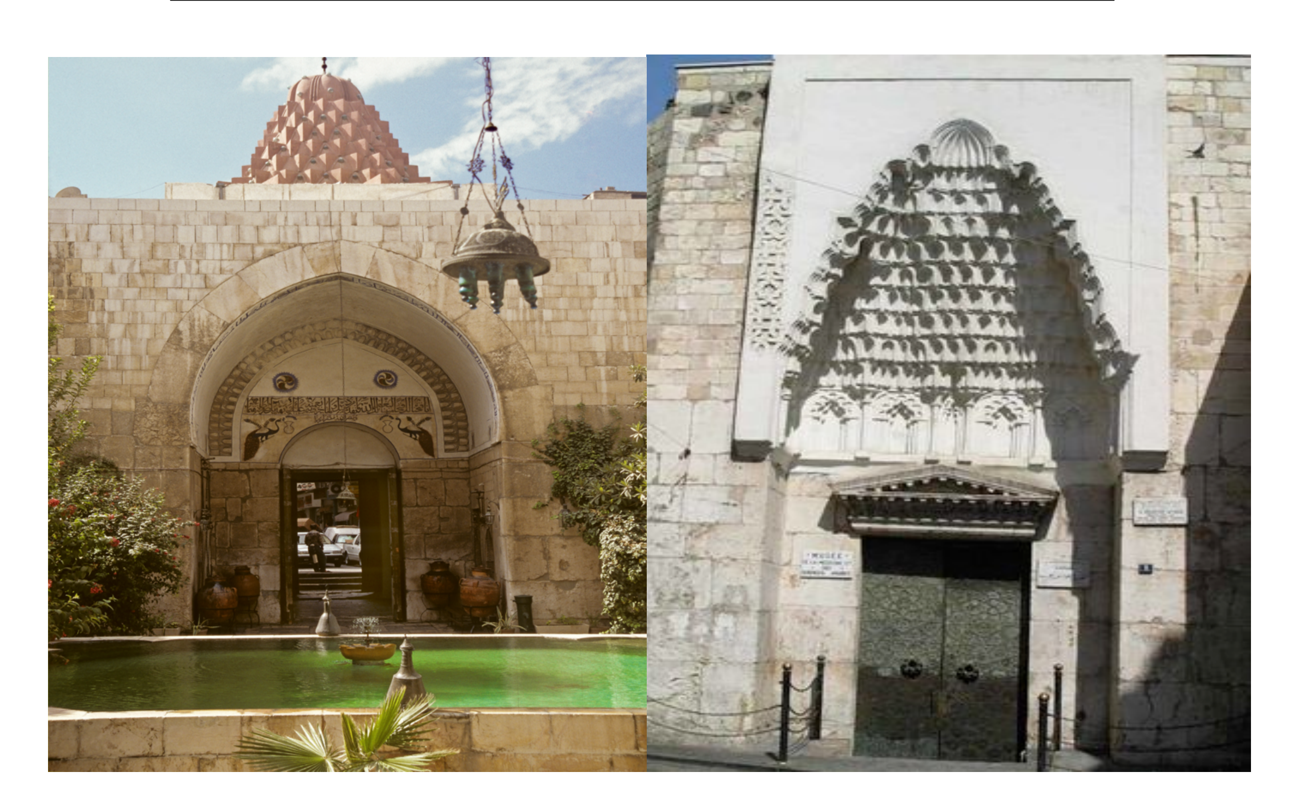


البيمارستان العضدي في بغداد.



البيمارستان العضدي: أمر بإنشائه السلطان أو الملك أبو شجاع فنا خسرو وأصبح يلقب بعضد الدولة بن بويه، أنشأ في عام ٣٦٨هـ/٩٧٨م، في بغداد، فكان يحتوي على أطباء مهرة ومتقنين، ويعتبر من البيمارستانات النادرة في استخدام التناوب لأنه كان مفتوح لمدة اليوم كاملاً. وقد حظي بوصف له من الرحالة ابن جبير عند زيارته لبغداد في عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م. ومن أشهر أطبائه: أبو الحسن علي بن بكس، وأبو يعقوب الأهوازي، ونظيف النفس الرومي.

البيمارستان النوري في دمشق، الواجهة من الخارج والداخل.



البيمارستان الكبير النوري: الملك نور الدين زنكي، أنشأ في عام ٥٤٣هـ/١١٥٤م، في دمشق، ويعتبر من أشهر البيمارستانات بدمشق بعد بيمارستان الدقاقي وبيمارستان القيمري، وممن تعلم فيه من الأطباء المسلمين المشهورين ابن سينا، والزهراوي، ويذكر ممن عمل ودرس بها الطبيبين الشهيرين المسلمين العربيين وهما: ابن النفيس وابن أبي أصيبعة. وقد كان للبيمارستان النوري نصيب بوصف الرحالة ابن جبير له في القرن الثاني عشر بقوله: (الأطباء يبكرون إليه في كل يوم، ويتفقدون المرضى، ويأمرون بإعداد ما يصلحهم من الأدوية والأغذية حسبما يليق بكل إنسان منهم، وللمجانين المعتقلين أيضاً ضرب من العلاج)، والبيمارستان تم تحويله حاليًا إلى متحف للطب والعلوم عند العرب بعدما تعرض للكثير من الترميمات والإضافات.

البيمارستان النوري في القاهرة، الواجهة من الخارج.



بيمارستان قلاوون: السلطان المنصور قلاوون الألفي، أنشأ في عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، في القاهرة، وهو يعتبر من أقدم البيمارستانات في العالم والذي لا يزال يقدم خدماته إلى يومنا هذا.

البيمارستان الطولوني في الفسطاط، والشبيه في بينائه لمسجده.



البيمارستان الطولوني، أمر بإنشائه الأمير أحمد بن طولون، أنشأ في عام ٢٥٩هـ/٨٧٢م، في الفسطاط بمصر، وهو أول بيمارستان ثابت ينشأ في مصر، وكان يقوم الأمير ابن طولون بتفقده بكل أسبوع لمتابعة سير عمله. ومن أشهر أطبائه: محمد بن عبدون الجبلي، وسعيد بن نوفل "طبيب مسيحي"، وشمس الدين المصري.

النفقات:

من أهم الأمور التي تسـهم على اسـتمرارية البيمارسـتانات والتي تجعلها تعمل بشـكل ممتاز وفعال، هو وجود الموارد المالية التي تنفق عليها، وهذه النفقات المالية متنوعة المصـادر، فمن أبرز مصـادر النفقات: نفقات الحكام، ونفقات الأوقاف، والنفقات الشـخصـية، والنفقات الخاصـة من الدولة، ونفقات الهدايا، ونفقات الزكاة، وغيرها. ومما يذكره المؤرخون بما قد أنفقه الخليفة الوليد بن عبد الملك للبيمارستان الذي أمر بإنشائه للمجذومين وغيرهم الأرزاق والرواتب للمرضـى والعاملين عليه من الأطباء والخدم به، بالإضـافة إلى وقف الأمير أحمد بن طولون للبيمارسـتان الذي بناه وجعل ينفق على البيمارسـتان والمسـجد من نفس الأوقاف، وأما الملك المعظم مظفر الدين صـاحب إربل فقد كان ينفق الكثير والكثير على المحتاجين والمرض والأطباء وغيرهم، وكان محبًا لعمل الخير ومنه الصدقة، وبالإضافة إلى وقف الملك نور الدين محمود زنكي على البيمارسـتان النوري الذي جعله للمحتاجين والفقراء كتب عظيمة وكثيرة في الطب، وكان ذلك الإنفاق عليها وبناء البيمارسـتان من مال الفداء للملك الفرنجي الذي أسـر في غزواته، فقد أفادت الأطباء والتلاميذ في تأليف والتدريس والتطوير والترجمة والاسـتكشـافات والتحقق مما ذكر فيها لتصـحيحه. وأخيرًا فإن جانب الانفاق على البيمارستانات له أساليب متعددة ومتنوعة، فاكتفينا في بحثنا هذا ببعضًا منها.

قائمة المصادر والمراجع:

1 - ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

2 - ابن جلجل (ت ٣٧٧هـ)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق. فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

3 - إسحاق بن حنين (٢٩٨هـ)، تاريخ الأطباء والفلاسفة، تحقيق. فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

4 - ابن جبير، محمد بن احمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ)، الرحلة، دار بيروت للطباعة والنشر، ط١، ج١، بيروت.

5 - ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

6 - القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاز (ت ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت.

7 - المقريزي، تقي الدين (ت٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، ج٤، ص٣٤٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

8 - أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

9 - د. أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، ط٢، لبنان، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

10 - د. عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

11 - د. عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، دار المعارف، ط٨، ١٩٩٠م.

12 - د. عمر فروخ وآخرون، تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

13- م. أسامة حوحو، مآثر العلماء في الرياضيات والفلك في الكهرباء والفيزياء في الطب والكيمياء، مؤسسة بحسون، ط١، لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

14- أ. مؤمن أنيس عبد الله البابا، البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية (١-٦٥٦هـ/٦٢٢-١٢٥٨م)، الجامعة الإسلامية غزة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

15- د. محمد عبد الله القدحات، البيمارستان العَضدي في بغداد (٣٧١-٦٥٦هـ/٩٨١-١٢٥٨م) دراسة في تطوره التاريخي ودوره الحضاري، جامعة السلطان قابوس، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠١٨م.

16- م. محمد خير الدين أمونه وآخرون، دراسة ترميمية للمباني التراثية (البيمارستان النوري في مدينة حلب القديمة-كنموذج دراسي)، مجلة الأكاديمية العربية في الدنمارك - العدد ٢٢ لسنة ٢٠١٩م.

17- الباحثة. نبيلة القوصي، البيمارستان النوري (٥٤٩هـ)، متحف الطب والعلوم في دمشق، موقع نسيم الشام.

باللغة العربية In Lingua Araba

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية العلوم الاجتماعية (الرياض)

التاريخ والحضارة

المحاضر: أحمد محمد أحمد هزازي

التخصص: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى وعصر النهضة والتاريخ الإسلامي.

In Lingua Italiana باللغة الإيطالية

Imam Muhammad Bin Saud Università Islamica
Facoltà di Scienze Sociali (Riyadh)
Storia e Civiltà
Docente: Ahmed Mohamed Ahmed Hazazi
Specializzazione: Storia europea medievale e rinascimentale e storia islamica.
Il dono dimenticato agli Ospedali islamici
La sua importanza, i tipi, le divisioni e le spese.
Dal I secolo AH al IX secolo AH.

In Lingua Inglese باللغة الإنجليزية

Imam Muhammad bin Saud Islamic University - College of Social Sciences - History and Civilization.
Lecturer: Ahmed Mohamed Ahmed Hazazi
Major: Medieval and Renaissance European history and Islamic history.
The Forgotten Giving to Islamic Bimaristans
Its importance, types, divisions, and expenditures.
From the first century AH to the ninth century AH.